المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
العدد الثاني عشر/ الجزء الثاني نيسان 2022

قضية عالمة الآثار الفرنسية مدام كلوستر وأثرها في توتر العلاقات بين المجلس الأعلى العسكري في تشاد وفرنسا في الفترة من 1975 إلى 1977.

د. محمد المهدي أحمد.
محاضر بجامعة آدم بركة بأبشة (تشاد).

L'affaire Madame Claustre et ses répercussions sur les relations Franco-tchadiennes de 1975 à 1977

Dr. MAHAMAT AL-MAHADI AHMAT
Assistant d'Université à l'Université Adam Barka d'Abéché
Almahadiahmat1.@gmail. com

الملخص.

تناول البحث قضية مهمة من القضايا التي شغلت الساحة السياسية في كل من تشاد وفرنسا وهي اختطاف الرهائن الأجانب في تيبستي (تشاد) من قبل الثوار التشاديين، والتي عرفت باسم "قضية المدام كلوستر". وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي في دراسته بهدف تتبع الأحداث والملابسات حول القضية ، وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها :

1- تمكن الثوار بفضل الفدية التي قدمتها كلا من ألمانيا وفرنسا من تجهيز قواتهم بالمعدات العسكرية اللازمة مما مكنهم من مواجهة القوات الحكومية، وتحقيق العديد من الانتصارات في الميدان.

2- سحب القوات الفرنسية من تشاد في عام 1976 بطلب من الحكومة التشادية، يعد خطوة جريئة قام بها المجلس الأعلى العسكري.

3- أن الاختلاف في وجهات النظر بين كوكوني وحسين هبري حول ملف الرهائن كان من ضمن الأسباب التي أدت إلى انشقاق في صفوف الثوار.

4- سمح الإفراج عن مدام كلوستر من قبل كوكوني بطلب من الزعيم الليبي معمر القذافي لكوكوني الحصول على أسلحة ومعدات عسكرية مكنته من شن أكبر هجوم تقوم به الثورة على الإطلاق ضد قوات نظام الجنرال مالوم. وهي عملية أبشة التي أدت إلى سقوط مدينة فايا عاصمة إقليم بوركو، إنيدي، تيبستيBET على يد قوات كوكوني في 1978.

5- بروز البعد الإقليمي للأزمة بعد تدخل أطراف خارجية في اللعبة.

الكلمات المفتاحية: قضية، المدام كلوستر، العلاقات، المجلس الأعلى العسكري ، مفاوضات، تشاد

ABSTRACT

The research addressed an important issue from the cases that fills the political arena in both from Chad and France. It is the kidnapping of foreign hostages in Tibisti, (Chad) through the Chadian revolutionists which known as the Madam Closter's case, the researcher followed the historical approach in his study with an aim to follow the incidents and the circumstances about the case, and ends the study into crucial results are.

1- The revolutionist enabled by preferred of ransom which paid from the Germany and France to prepared their forces and military equipment where enabled them to the confrontation of the government forces and achieving several victories in the field.

2- Withdrawal of France forces from Chad in 1976 in demand of Chadian government after a dare step risen via the supreme military council.

3- The difference in views between Kakonni and Hussein Habri about hostages, file it was implicitly the reason that led into split in revolutionists.

4- Allowed the release of Madam Closter from Kakonni with a demand from the Libyan boss Moamer Al Gazafi, to Kakonni to access to weapons and military equipment enabled him to make great attack that came from revolutionists against the forces of general Malon,s System. It was a vicious process, which led into downfall of Faya Capital town region of Borko, Endi Tibisti (BET) in hands of

Kakonni forces in 1978.

5- Appearance of the regional dimension for crises after the intervention of foreign parts in the game.

المحور الأول : أساسيات البحث

مقدمة

بدأت قضية عالمة الآثار الفرنسية مدام كلوستر في الحادي والعشرين من أبريل 1974، بأخذ رهائن قامت به مجموعة تابعة لمجلس قيادة القوات المسلحة الشمالية CCFAN بقيادة حسين هبري، واستمرت حتى يناير 1977. تركت هذه القضية أثراً بالغاً في العلاقات التشادية الفرنسية في الفترة ما بين 1975 إلى 1977، مما أدى إلى اختلال سياسي طيلة هذه الفترة. فبالإضافة إلى الناحية الإنسانية التي ترتبت عن أخذ الرهائن، شكلت القضية حدثاً هاما في سياسة فرنسا تجاه تشاد، فقد وجدت حينها فرنسا نفسها، بحكم الظروف، مرغمة في التعامل مع الثورة التشادية، أو بالأصح مع جزء منها، كمحاور ضروري مثلها مثل المجلس الأعلى العسكري CSM بقيادة الجنرال مالوم. منذ ذلك الحين أطلت الصعوبات برأسها في العلاقات الثنائية بين البلدين، نتيجة الغموض الذي اكتنف موقف فرنسا ومراوغتها بين هذين المتحاورين التشاديين.

سنتناول الباحث في هذه الدراسة التاريخية دوافع الثوار، ومصير الرهائن، وكذلك طبيعة المفاوضات التي جرت بين الأطراف المعنية في سبيل إطلاق سراح الرهائن، أضافة إلى دور الزعيم الليبي معمر القذافي في إنهاء القضية الدروس.

مشكلة البحث : يتناول الباحث من خلال هذه الدراسة قضية من القضايا التي كان لها الأثر البالغ في تدهور العلاقات بين تشاد وفرنسا في حقبة السبعينيات، كما أنها كانت سببا في

شهرة ثورة فروليا وخاصة اثنان من قادتها وهما حسين هبري وكوكوني وداي اللذان أصبح كل واحد منهما رئيساً لجمهورية تشاد.

أسئلة البحث : تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

– ما هي الأهداف والدوافع الحقيقية وراء اختطاف الأجانب من قبل الثوار التشاديين؟

– ما هو الدور الذي لعبته ليبيا في حل قضية مدام كلوستر؟

– ما هي الفوائد التي جناها الثوار من خطف مدام كلوستر؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يتناول جانبا من طبيعة العلاقات بين فرنسا وإحدى مستعمرتها السابقة وهي تشاد.

1. أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق النقاط التالية:

1. الكشف عن التدخل الفرنسي في تشاد
2. التعرف على مدى قدرة السلطات التشادية على الوقوف ضد الهيمنة الفرنسية
3. إبراز نهج السياسة الفرنسية تجاه مستعمراتها في إفريقيا

منهج البحث: اتبع الباحث المنهج التاريخي في إجراء بحثه

هيكل البحث : تم تقسيم البحث إلى ستة محاور رئيسية هي :

المحور الأول : أساسيات البحث

المحور الثاني: التعريف بمدام كلوستر

المحور الثالث: أهداف الثوار من اختطاف الأجانب

المحور الرابع : محاولات الإفراج عن الرهائن في عهد الرئيس تمبلباي

المحور الخامس: المفاوضات في عهد الرئيس فيلكس مالوم

المحور السادس : الخاتمة وتشتمل على النتائج ، والتوصيات، وقائمة المراجع

المحور الأول : التعريف بمدام كلوستر

ولدت عالمة الآثار الفرنسية فرنسواز كلوستر، Françoise Claustre في الثالث من فبراير 1937 في باريس. بعد حصولها على شهادة الليسانس من جامعة السوربون، تدربت بمركز التأهيل في الأبحاث الاثنولوجية والآثارية التابع لمتحف الإنسان بباريس.

عملت مدرسة بمعهد الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بتولوز (فرنسا)، وفي جامعة بيربنان Perpignan.

شغلت منصب مديرة قسم الأبحاث بالمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي. اشتهرت بأعمال التنقيب في تشاد.

أقامت مدام كلوستر في تشاد لأول مرة في الفترة من 1964 و 1966 في إطار مهمة بحثية كانت تقوم بها لحساب المركز الوطني للبحث العلمي CNRS . عادت بعد عامين إلى تشاد. انتدبت إلى مختبر الاثنولوجيا والأركيولوجيا في تشاد والكمرون، حيث انكبت في دراسة أصول ثقافة الساو. ناقشت رسالة الدكتوراه في جامعة السوربون، وقد أصبحت رسالتها مرجعا من المراجع الأساسية.

تم اختطافها في تيبستي شمال تشاد في الحادي والعشرين من إبريل 1974 من قبل مجموعة تابعة للثورة التشادية التي كان يقودها كل من حسين هبري وكوكوني وداي، عندما كانت تقوم بالتنقيب الآثاري، وظلت أسيرة لدى الثوار التشاديين لمدة ثلاث سنوات.

أثار تواجدها في "برداي" شمال تشاد جدلا واسعا في الأوساط السياسية، سواء في تشاد أو في فرنسا، وذلك بسبب عدم وجودها في المكان المصرح لها به أثناء اختطافها. يوضح الرئيس التشادي الأسبق هذا الأمر قائلا: « لم تصرح السلطات التشادية وقتها لمدام كلوستر بالذهاب

إلى برداي للقيام بأعمال تنقيب. بل صرحت لها بالسفر إلى كانم ومنطقة كوروتورو. تتوقف حدود المنطقة التي تجري فيها الأبحاث في محافظة موسورو، ولم يصرح لها بالتوغل إلى منطقة جوراب. كانت مهمة كلوستر الرسمية تقوم على دراسة موقع العصر الحجري الحديث وعصر الحديد بهذه المنطقة. لكن كعادة المتعاونين الأجانب، انتهزت وضع زوجها كلوستر الذي يشغل منصب مدير بعثة الإصلاح الإداري، والذي كان يوظف الميزانية التي وضعت تحت مسؤوليته في أغراض ليست لها علاقة بعمله، لتذهب إلى برداي لأسباب شخصية على متن طائرة تابعة للبعثة التي يديرها زوجها». (Ngansop, !986, P70)

المحور الثاني: الهدف من اختطاف الأجانب في تيبستي من قبل الثوار المناوئون للحكومة التشادية.

في الحادي والعشـــرين من أبريل 1974م قام الثوار المناوئون لنظام تمبلباي بعملية في منطقة برداي الواقعة شمال البلاد، أدت إلى اختطاف ستة أشخاص من بينهم أربع أوروبيين. كان كريستوف استيفن Christop Staewen وزوجته قد دعيا صديقيهما الفرنسيان وهما فرنسواز كلوستر ومارك كومب وضابطين تشاديين إلى مأدبة غداء. فجأة اقتحم الثوار مقر إقامة الأوروبيين وقاموا باختطافهم والاستيلاء على سيارة مجهزة بوسائل اتصال. ورغم الجهود التي بذلتها الوحدات العسكرية للبحث عن المختطفين إلا أن الثوار تمكنوا من الولوج إلى الجبال مصطحبين معهم الرهائن(أحمد، 2013، ص 150).

في مساء اليوم التالي طلب حسين هبري من أحد الرهائن الاتصال بكلوستر زوج فرنسواز كلوستر عبر وسائل الاتصال اللاسلكية التي كانت بحوزته، حيث أبلغه بوقوع العملية التي أدت إلى اختطاف رهائن أوروبيين من بينهم رهينتين فرنسيتين هما مدام كلوستر ومارك كومب. كما انتهز هبري الفرصة ليعبر عن بالغ أسفه لموت المدام استيفن وقدم تعازيه

لحكومة ألمانيا الفيدرالية. ووجه تحذيراً للسلطات العسكرية الفرنسية والتشادية من مغبة القيام بأي محاولة لهجوم أرضـــي أو جوي في المنطقة مؤكداً أن ذلك ســيعرض حياة الرهائن إلى خطر. مطمئنا إياه عن حالة الرهائن الصحية ومشددا على ضرورة إذاعة بيان لمجلس قيادة القوات المســلحة الشــمالية عبر إذاعة فرنســا الدولية رافضــا أي حوار مع ممثلي حكومة انجمينا. (Weddeye, 2016,P 571)

وبعد أيام أعلن حســين هبري مســئوليته عن الاختطاف مؤكدا للحكومتين الفرنســية والألمانية بأن الإفراج عن مواطنيهما لا يتم إلا بشروط وهي :

- دفع مبلغ قدره 24 مليار
- تقديم مواد غذائية
- إنشاء مباني للخدمات الاجتماعية في المناطق الواقعة تحت سيطرة القوات المسلحة الشمالية
- الإفراج عن 32 معتقلا سياسيا من سجون تمبلباي. (NGANSOP,1986 ,P 68).

في هذا الإطار يقول كوكوني وداي في حوار مع لوران كورو الصـــحفية في إذاعة فرنســا الدولية بخصــوص خطف الرهائن الأوروبيين : « أتذكر جيدا، عند عودتنا من أوزو، عقب مشاركتنا في وضع العلم الليبي*، وصلنا إلى منطقة زومري، وتحديداً في وانومو. خلال أحد الاجتماعات، اقترح حســين هبري فكرة اختطاف الأجانب. أفادنا المواطنون القادمون من القرى القريبة من برداي أن طبيبا أوروبيا خرج من برداي متوجها إلى القرى المجاورة لتقديم العلاج لبعض المرضى. إنه استيفن، ولكننا لم نكن نعرفه. طلب حسين فورا أن ننصب له كمينا ونختطفه من أجل المقايضة بأسلحة نارية. كنت قد عارضت الفكرة، ليس من حيث المبدأ، ولكن بسبب كونه طبيبا ذهب ليعالج المرضى، وأن اختطافه سيلحق الضرر

بـالمواطنين». (Laurent Coureaux, l'affaire claustre et la rupture avec Hissein Habre, 2008,1974-1977www.rfi.fr consulté le 15/12/2021,)

ويسـتطرد قائلاً : « نجحت خطتنا الأولية رغم أنها كانت ارتجالية. أحدث وجود ضـابطين بمقر إقامة اسـتيفن نوعا من الخلل في الخطة، وإلا لكانت تتم دون رد فعل من الجيش، ولما حدث إطلاق نار. قرر حسـين هبري في آخر لحظة مرافقة المجموعة التي هاجمت منزل استيفن لكي يقود إحدى السيارات لعدم توفر سائقين ضمن قواتنا. أما بالنسبة لي فقد كنت في بوركو لإعداد الهجوم على ثكنة فايا».

أما بخصوص التعامل مع الرهائن يقول كوكوني:

« لم نكن نعتبر فرنسواز كلوستر، ومارك كومب كسجناء ينبغي عزلهم. كانت مدام كلوستر دائما مع النساء، لا نراها إلا نادراً. أما زوجها السيد كلوستر عندما جاء، كان يتناول الطعام معنا، ونتبادل الحديث. نفس الشـي بالنسـبة لكومب. في تلك الفترة لم يكن لدينا في الجبهة سـائقين، ولذلك اسـتخدمناه كسـائق، كان دائما معنا نسـمر معاً ونأكل معاً ونتجول معاً... ولكنه أخيراً غدر بنا وهرب عبر الأراضـي الليبية». (Laurent Coureaux, l'affaire claustre et la rupture avec Hissein Habre, 2008,1974-1977www.rfi.fr consulté le 15/12/2021)

أما حسـين هبري فيوضـح قائلا: « إن العملية التي قمنا بها في برداي وأدت إلى اختطاف أوروبيين، تندرج تحت إطار العمليات العسـكرية. كنا نواجه الحكومة الفرنسـية التي كانت السـند الأسـاسـي للنظام الذي نناضـل ضـده. وكانت تلك وسـيلة ضـغط لنؤكد من خلالها للحكومة الفرنسية أن الدعم الذي تقدمه للنظام المعادي للأمة، القائم في انجمينا يتعارض في نفس الوقت مع مصـالح تشـاد والتشـاديين، وكذلك مع مصـالح فرنسـا والشـعب الفرنسـي. وقد

كانت طريقة ضرورية ومفيدة وصائبة، لأننا استطعنا إرغام الحكومة الفرنسية على الدخول في نزاع أدى بها إلى جلاء قواتها من تشاد. (ATP, du 09 juin 1978, P 15)

كانت الثورة تسعى من خلال هذه العملية إلى الحصول على شهرة في الخارج بإخطار الرأي العام الدولي بأن لهم قضية وطنية يناضلون من أجلها وليسوا قطاع طرق كما تصفهم الحكومة. وقد تبين للثوار أنهم تحصلوا على فرصة ثمينة يمكنهم الاستفادة منها في حال استغلالها بشكل جيد. (ESKA, 1991, P11)

المحور الثالث : التفاوض مع الخاطفين في عهد الرئيس انقارتا تمبلباي

فضلت كل من فرنسا وألمانيا الطرق الدبلوماسية لحل هذه المعضلة لقناعتهما التامة بأن القوات المسلحة التشادية عاجزة عن تحرير الرهائن. بعثت ألمانيا موظفان ساميان بوزارة الخارجية وهما Walner وWever. وقد وصلا إلى أنجمينا في الخامس والعشرين من أبريل 1974م لإجراء المفاوضات مع مختطفي الرهائن . وبعد عدة لقاءات عقدها الوفد الألماني مع الثوار توصل الطرفان إلى حل يقضي بإطلاق سراح الدكتور Staewen مقابل دفع مبلغ قدره ثمانمائة ألف دولار وبث بيان سياسي للثوار في إذاعة صوت ألمانيا. وكان هذا البيان السياسي المعنون بـــ " **النصر أو الاستشهاد**" عبارة عن هجوم لاذع للسياسة الفرنسية تجاه تشاد.(Ngansop, 1986,P68)

في الثالث عشر من يونيو 1974 أطلق سراح الدكتور استيفن الذي وصل إلى بلاده عبر الأراضي الليبية. وقد عبرت الحكومة التشادية عن غضبها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا (ESKA, 1991, P11).

أما فيما يتعلق بالرهينتين الفرنسيتين ، مدام كلوستر ومارك كومب، فقد كانت المفاوضات بشأنهما تتسم بالتسويف والتماطل من قبل الحكومة الفرنسية. وبعد أن علم الرئيس تمبلباي

بشروط حسين هبري لم يبدي موافقته عليها وقد حاولت السلطات الفرنسية إقناعه بالعدول عن رأيه. وقد بعثت في هذا الشـــأن العديد من الوفود إلى أنجمينا دون جدوى (Mouric, 1984,P90).

وصل أول المفاوضين الفرنسيين وهو روبرت بويسان R. Puissant ، المستشار بوزارة الخارجية الفرنســـية إلى برداي في 15 مايو 1974 للمشـــاركة في المفاوضـــات. وكان الفرنسيون يستشيرون الرئيس تمبلباي قبل اتخاذ أي قرار ويطلعونه على سير المحادثات. رفض تمبلباي إجراء أي اتصـــال مع ما يســـميهم بالخارجين عن القانون وأبدى موافقته في الثاني من يونيو على إفراج المعتقلين الســـياســـيين وذلك فور إطلاق ســـراح الرهائن. ألقى تمبلباي القبض على سبعين من أقارب حسين هبري حيث تم حبسهم في العاصمة أنجمينا . (Lemoine, 1997,P200)

وبعد موافقة تمبلباي والجنرال مورين القائد العام للقوات الفرنســـية تم تكليف الرائد "قالوبين"Galopin بمواصلة المفاوضات مع حسين هبري. وصل قالوبين Galopin إلى برداي في السابع عشر من يونيو 1974، ولكنه لم يتمكن من مقابلة حسين هبري إلا في الثاني من يوليو من العام نفسه. لم يغير هبري شيئا من مطالبه فقد ظل يطالب بالإفراج عن 32 معتقلا سياسيا وبث منشور سياسي على إذاعة فرنسا الدولية وتقديم فدية قدرها مليون فرنك. على أن يكون جزءا منها نقدا والجزء الآخر على شـــكل معدات (Lemoine, 1997,P202) .

لم يرسل قالوبين من قبل الحكومة الفرنسية، إنما هو مرسل من طرف تمبلباي، حيث كان يعمل لصالح تشاد. تآمر كثيرا من أجل تقسيم المعارضة في تيبستي, إنه العقل المدبر للانشـــقاق الذي دفعنا ثمنه غاليا. بعد انضـــمام حرس الرحل إلى الثورة، واختطاف مدام كلوستر ، أرسل تمبلباي قالوبين لإجراء المفاوضـــات مع مختطفي الرهينتين الفرنسيتين.

يوضـــح كوكوني هذا الأمر قائلا: « كنت في بوركو عندما أتى "قالوبين" إلى زوي للقاء قادتنا العســكريين، كنت حينها بعيدا عن المكان الذي اختطف فيه، ولم أكن طرفا في اتخاذ القرار القاضي باختطافه، ولكن لو كنت حاضرا لقمت بنفس العمل. لكي أكون صادقاً معكم، كنت مسروراً جدا بخطفه، فقد كان سببا في الانقسام الذي حدث في صفوفنا وأدى إلى تشتت الجبهة الثورية في تيبستي».

ولكن من سوء حظ "قالوبين" فقد اتهمه حسين هبري بالخيانة ونفذ فيه حكم الإعدام في أبريل 1975 بعد أن أمضى تسعة أشهر في الأسر دون أن تتدخل السلطات الفرنسية لإنقاذه. كان قتل الضـــابط الفرنســـي من قبل حســـين هبري قد ســـبب حزنا عميقا لدى كبار الضـــباط الفرنسيين.

كان قالوبين قد حاول الاتصـال ببعض جنود حرس الرحل لغسـل أدمغتهم للتخلي عن الثورة، وعليه فقد اتخذ حسين هبري ذلك ذريعة لاختطافه.

أما عن الهدف من اختطاف قالوبين يقول كوكوني : « كنا نعاني من نقص تام في الأسـلحة والذخائر، لذلك فإن اختطافه كان بمثابة نعمة لنا. إنه عسـكري ويحظى بثقة انقارتا تمبلباي. لم نكن نتوقع أن يتخلى عنه تمبلباي بهذه السهولة. كنا نعتقد أن تمبلباي سيضطر للاستجابة لكل ما نطلبه مقابل اطلاق سراحه. لقد كان قالوبين يعرف نوعية الأسـلحة التي نحتاجها في نضـالنا، ولذلك هو من قام بإعداد قائمة الأسـلحة التي طلبناها من الحكومة» (Laurent Coureaux, l'affaire claustre et la rupture avec Hissein Habre, 1974-1977www.rfi.fr consulté le 15/12/2021,2008)وبعد فشـــل مهمة قالوبين، طلبت الحكومة الفرنسية من الإدارة الليبية التوسط لدى الثوار التشاديين في تيبستي، بهدف اطلاق ســـراح الرهينة مدام كلوســـتر،. وبعد موافقة الحكومة الليبية تم اختيار محمد الباقلاني، باعتباره أحد قادة فرولينا، واتصـلت به للتوسـط لدى الجيش الثاني، لذا أرسـل له

ضـــابط الاســـتخبارات الليبي مبارك الذي التقى به في الميدان بشـــرق تشـــاد في إقليم وداي بمنطقة توربقل. قدم الباقلاني إلى ليبيا، حيث تم تكليفه رســـميا من قبل الزعيم الليبية معمر القذافي للتفاوض مع قيادة الجيش الثاني، وبعدها توجه إلى تيبستي وعقد اجتماعا معها حيث نقل لها طلب القيادة الليبية حول قضـــية مدام كلوســـتر، وتعهدت الحكومة الليبية مقابل فك أسرها بتوفير الدعم اللازم للثوار من مؤن وعتاد حربي وسلاح، إل أن هناك بندا في المشروع الليبي كان محل شـــك وريبة لدى الثوار، حيث طالبت الإدارة الليبية أن يوافق الثوار على خريطة الحدود الليبية التي وضعتها ليبيا، وتشمل قطاع أوزو المتنازع عليه بين تشاد وليبيا. فكان هذا البند مكان رفض لدى الثوار، بسبب عدم اطمئنانهم لنوايا العقيد القذافي، وكاد هذا الأمر أن يؤدي إلى اعتقال محمد الباقلاني نفســـه، لولا تدخل النائب للجيش الثاني كوكوني وداي (يوسف، 2010، ص 93).

المحور الرابع: في عهد الرئيس فيلكس مالوم

ساءت علاقة الرئيس التشادي "انقارتا تمبلباي" بالجمهورية الفرنسية في السنوات الأخيرة من فترة حكمه. كان الرئيس تمبلباي قد بدأ باتخاذ خطوات تدل على مدى نقمته من الفرنســـيين الذين ساعدوه في تولي رئاسة البلاد عقب الاستقلال مباشرة، واعتبرهم متطفلين عليه وعلى الشعب التشادي، من تلك الخطوات: في بادئ الأمر أعلن انسحاب تشاد من المنظمة العامة لإفريقيا ومدغشقر، كما رفض الاشتراك في القمة الفرنسية الإفريقية المنعقدة في باريس في شهر نوفمبر 1973م(أحمد، 2013، ص 103).

كما اتجه الرئيس انقارتا تمبلباي نحو الأمريكيين بصـــورة مباغتة، مما أدخل الخوف في نفوس الفرنسيين الذين صنفوه على أنه رجل على درجة عالية من الخطورة بالنسبة للتواجد الفرنسي والمصالح الفرنسية في القارة عندما منح عطاء التنقيب عن النفط لشركة "كونوكو" الأمريكية بمنطقة دوبا لأول مرة.

كما أن فرنسا نظرت إلى قرار تمبلباي القاضي بسحب القوات الفرنسية من بعض المواقع وقطع علاقاته مع إسرائيل وتوطيد العلاقات مع الدول العربية، كمحاولة للتخلص من النفوذ الفرنسي. (الحنديري، 1998 ص 144)

الجدير بالذكر أن الرئيس تمبلباي قد أعلن قيام ثورة ثقافية في تشاد تحت تسمية "الحركة الوطنية للثورة الثقافية والاجتماعية". استمد تمبلباي فلسفة ثورته من أفكار الرئيس الغاني كوامي نيكروما. كانت غانا عشية الاستقلال تعرف باسم ساحل الذهب Gold Coast . ولكن نيكروما الذي كان يؤمن بفكرة الاتحاد الإفريقي قد استبدل هذه التسمية بغانا وهو اسم إمبراطورية كبيرة كانت تبسط سيطرتها على جزء كبير من إفريقيا الغربية. وكان نيكروما ووزراء حكومته يرتدون الزى التقليدي المعروف لديهم بالكيتا ذوا الألوان المختلفة. من هنا بدأت فكرة العودة إلى الأصالة الإفريقية(Gatta,2005, P90).

انتقلت هذه الفكرة من غانا إلى الكونغو الديمقراطية. ففي عام 1965م وبعد خمس سنوات من النزاع على السلطة وصل الجنرال موبوتو إلى الحكم بعد أن أطاح بالرئيس كازافوبو. وفي أمل إنقاذ الوحدة الوطنية ، وجد الرئيس الجديد أن الحل يكمن في العودة إلى القيم التقليدية القديمة التي تنادي بالوحدة والتضامن. وقد بدأ تطبيق هذه الفلسفة عام 1971م حيث ترك موبوتو اسمه القديم جوزيف ديزيري وأصبح يسمى **موبوتو سيكو كوكو انقاندو وازا بانقا** أي ما يعني بلغتهم المحلية: " الديك الذي يصيح بالنصر والمحارب الذي يحقق الانتصار تلو الانتصار". كما تم إعادة تسمية كل المدن. ليوبولدفيل أصبحت كنشاسا اليزابيلفيل أطلق عليما لوبومباشي أما استانليفيل فتسمى كنسانقاني. أما البلاد فقد سميت بزائير التي تعني " النهر الكبير" وغير العلم الوطني وكذلك النشيد الوطني . إضافة إلى ذلك فقد استبدلت البزة الأوروبية (Arnaud, 2007,P275) .

لقد تأثر بهذه الفكرة الرئيس التوغولي حيث استبدل اسمه من ايتيين إلى ناسيقبي.

وكان للثورة الثقافية في تشاد صلة بالأزمة السياسية والدبلوماسية بين دول وسط إفريقيا والتي أدت إلى خروج تشاد وإفريقيا الوسطى من الاتحاد الجمركي والاقتصادي لدول وسط إفريقيا المعروف ب (UDEAC) الذي أسس في يوم 8 ديسمبر 1964م لتحقيق الاندماج بين دول المنطقة. وهي تضم ثلاث دول ساحلية (الكونقو والقابون والكمرون) ودولتين بريتين (جمهورية إفريقيا الوسطى وتشاد). فبعد مرور أربع سنوات من العمل ، أدركت تشاد وإفريقيا الوسطى أنهما غير مستفيدان من هذا الاتحاد.

ورغم التعديلات التي أدخلت في نظام الإيرادات والجمارك إلا انه ظل المستفيد الأول هي الدول الساحلية. ونتج عن ذلك تذمر الدولتين تشاد وإفريقيا الوسطى خصوصا أنهما كانتا تعتمدان على هذا الاتحاد لكسر العزلة الجغرافية التي يعاني منها البلدان. وكان الرئيس موبوتو في تلك الفترة يكثف اتصالاته الدبلوماسية لفرض نفوذ بلاده على دول وسط إفريقيا(أحمد، 2013 ، ص 81).

كان الجنرال موبوتو الحليف لأمريكا يعتبر سدا منيعا ضد الشيوعية. وخوفا من أن يشكل اتحاد(UDEAC) خطرا على زائير فقد أوعزت أمريكا لموبوتو بتخريبه داخليا. وفي هذا الإطار طلب من نظيريه **تمبلباي** و**جان بيديل بوكاسا** الانسحاب من الاتحاد مؤكدا لهما أن مصلحة بلديهما لا تكمن في الاتحاد المذكور وإنما في اتحاد يضم الدول الثلاث (زائير تشاد وإفريقيا الوسطى).

إضافة إلى ذلك فان الدول الثلاث كانت تخشى من نشاطات الشيوعيين في الكونغو برازافيل. فقد كان تمبلباي يخشى أن يحدث تنسيق بين فرولينا والشيوعية في الكونغو برازافيل. هذه الأسباب أدت إلى قيام اتحاد جديد وهو اتحاد دول إفريقيا الوسطى (UEAC) في يوم 1 ابريل 1968م بفورلامي بين رؤساء الدول الثلاث. ومن هنا بدأت الصداقة بين تمبلباي

وموبوتو. وخلال احد الاجتماعات استطاع هذا الأخير إقناع تمبلباي بضرورة إعلان الثورة الثقافية في بلاده (Gatta, 2005, P91).

أما بوكاسا فقد اختلف مع كل من تشاد والكونغو في نوفمبر 1968م أي بعد ثمان أشهر فقط من التوقيع على وثيقة الاتحاد وأعاد في يوم 9 ديسمبر 1968م عضوية بلاده إلى الاتحاد القديم(UDEAC) وكان ذلك بإيعاز من فرنسا التي اشترطت الزيارة التي يزعم بوكاسا القيام بها إلى فرنسا بعودة بلاده إلى المنظمة الأخيرة وبذلك استطاعت فرنسا أن تضع حدا لاتحاد (UEAC) الذي كان يجمع الدول الثلاث(Gatta,2005, P91) .

وبانسحاب إفريقيا الوسطى أصبح اتحاد (UEAC) لا معنى له فزائير تبعد عن تشاد بحوالي أكثر من 1000كم ولا تجمعهم حدود جغرافية. وهكذا قضت فرنسا على أول محاولة لقيام الثورة الثقافية.

وصلت العلاقة بين فرنسا وتشاد إلى خط اللارجعة، وخاصة عندما رفض أنقرتا تمبلباي حضور جنازة الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو الذي توفي في باريس في إبريل 1974م والتي حضرها معظم رؤساء المستعمرات الفرنسية السابقة، مما صعب على الفرنسيين رفض الرئيس التشادي مؤازرتهم في مصيبتهم، إضافة إلى رفضه للدعوة التي أرسلوها إليه ، فسعوا إلى تدبير انقلاب عسكري ضده من خلال مساعدة الجنرالات والضباط الذين أذاقهم الرئيس تمبلباي صنوفا من الذل والهوان في المعتقلات والسجون. (صالح، 2016، ص 46)

وفي يوم 13 إبريل 1975 قامت القوات المسلحة بانقلاب عسكري بقيادة الجنرال فيلكس مالوم، وقد ذهب تمبلباي ضحية لذلك الانقلاب بعد أن حكم البلاد مدة خمسة عشر عاماً (الحنديري، 1998، ص 146).

ولكن هل ترى سيكون فيلكس مالوم البديل الأفضل لتمبلباي؟ وهل سيحقق الأطماع الفرنسية في تشاد لا سيما فيما يتعلق بقضية الرهائن؟

لقد تم تأجيل المفاوضـــات بمقتل تمبلباي ومجيء الجنرال فيلكس مالوم إلى الســلطة. رفض الأخير بشــكل قاطع التنازل لمطالب الثوار، مما دفعهم إلى إعدام قالوبين. يقول كوكوني في هذا الصـــدد : «أعتقد أنه لو لم يقتل تمبلباي لاســـتطاع فعل شـــيء. رفض مالوم تماما الاســـتجابة لمطالبنا، ولذلك حددنا موعداً لإرغام الحكومة على قبول مطالبنا» (Laurent Coureaux, l'affaire claustre et la rupture avec Hissein Habre, 2008,1974-1977www.rfi.fr consulté le 15/12/2021) .

ويضـيف قائلا : « بعد انقضـاء المهلة، تَلَقَّينا برقية من برداي. هل حكومة فرنسـا هي التي أرســلتها؟ هل هناك مثير للقلاقل تابع للحكومة التشــادية من أرســل هذه البرقية؟ لا ندري. عموماً وصـــلتنا برقية تفيد بما يلي: اطلقوا ســـراح قالوبين، لا يمكنكم الحصـــول على أي شـــيء. إن لم تطلقوا سـراحه فسـنقوم بإبادتكم، أصـحاب الثياب الرثة. لأول مرة أسـمع كلمة أصـــحاب الثياب الرثة Loqueteux. بعد أن تلقينا لهذه الرســـالة، عقدنا اجتماعا. أخذنا مضـــمون البرقية محمل الجد، وإلا لم تكن لدينا في البداية أدنى نية لإعدام قالوبين في ذلك اليوم بالتحديد. كنا نود الاحتفاظ به كورقة تبادل مقابل أســـلحة. وبما أن هذه البرقية كانت خطيرة للغاية، قلنا إن لم تأتينا برقية أخرى بانقضـــاء المهلة ســـيتم اجتياحنا من قبل فرقة الكومندو المظلية، ولذلك اســـتعدينا وقمنا بإعدام قالوبين» (Laurent Coureaux, l'affaire claustre et la rupture avec Hissein Habre, 2008,1974-1977www.rfi.fr consulté le 15/12/2021).

هناك رواية عن موت قالوبين جاءت بعد عقد من الزمن بقلم كريسـتيان ميللي Christian Millet في صـحيفة ليموند Le Monde الفرنسـية في عددها الصـادر بتاريخ 29 ديسـمبر 1984، تقول الرواية أن قالوبين أرســل إلى تيبســتي للقيام بمهمتين مختلفتين: الإفراج عن الرهائن وزرع الفتنة في صـــفوف مجلس قيادة القوات المســـلحة الشـــمالية CCFAN. هذه

المهمة الأخيرة والتي صـــرح بها لبعض المقربين من حســين هبري بقصـــد انضـــمامهم إلى صـفوف الحكومة هي التي كانت سـببا في إيقافه في الرابع من أغسـطس 1974، وتضـيف الرواية بأن قرار إعدامه تم التصويت عليه واتخاذه دون موافقة حسين هبري، وأن اتخاذ القرار جاء بضـغط من كوكوني وداي، وآدم توقوي، وأبكر أواني وهو سـجين سـابق كان قالوبين قد أساء معاملته في عام 1969.

أما رواية كوكوني وداي فتختلف تماما عن الرواية الســـابقة. يقول كوكوني أنه كان موجوداً أثناء التصـــويت على قرار إعدام قالوبين، وأنه كان متضـــامنا مع القرار، ولم يكن هناك أي اعتراض، فالجميع كان موافقاً على إعدام قالوبين، مضـــيفا أنها مســـألة شـــرف فإن كان الفرنسيون ينعتوننا بهذه الصفات المذلة فعلينا أن نتخذ موقعا وليحصل ما يحصل. ولذلك كنا مســـتعدين لمواجهة أية قوة. صـــحيح أنه ليس بمقدورنا التصـــدي لها ولكننا قررنا أن نموت دفاعاً عن قضيتنا» (Laurent Coureaux, l'affaire claustre et la rupture avec Hissein Habre, 2008,1974-1977www.rfi.fr consulté le 15/12/2021).

أما عن طريقة إعدامه، فيصـفها لنا كوكوني بالقول: « لقد قمنا بإعدامه شـنقاً. كان قد فضـل أن يعدم رميا بالرصـــاص ولكننا شـــنقناه، غرب مدينة زوي، غير بعيد عن قرية تيبورا التي تبعد بحوالي خمسـة عشـر كيلومتر من برداي. كنت شـاهداً على مقتله، وكذلك حسـين هبري والعديد من الفدائيين. حقيقة أننا تفاجئنا بسلوكه وخاصة شجاعته».

ويضـــيف : « أنا شـــخصـــيا لســـت نادما على إعدام قالوبين. لقد شـــاركت في كل المعارك الداخلية التي دارت بيننا في تيبسـتي عقب الانشـقاق الذي كان وراءه قالوبين، ولا يمكنني أن أسامحه».

فيما يتعلق بمدام كلوسـتر فقد تجددت الآمال لدى الفرنسـيين للتوصـل إلى الإفراج عنها بعد وصـول العسـكر إلى سـدة الحكم عقب الانقلاب الذي أطاح بتمبلباي. ولكن المجلس الأعلى

العسكري فاجأ فرنسا برفضه الموافقة على اتفاق ابرم بين استيفان هيسيلٍ Stephane Hessel المفاوض الفرنسي وحسين هبري. وذلك بحجة عدم اطلاع المجلس الأعلى العسكري بمضمون المفاوضات التي كان يجريها مع حسين هبري. وبالتالي فقد اعتبر المجلس ذلك تدخلا في شئون تشاد الداخلية.

قام المجلس الأعلى العسكري بعد ذلك بإلغاء التصريح الذي يسمح للفرنسيين بإجراء مفاوضات مباشرة مع مجلس قيادة القوات المسلحة الشمالية وقرر أن يتولى هو نفسه القيام بمفاوضات شاملة يتم في إطارها حل مشكلة مدام كلوستر.

كانت الحكومة التشادية قد اتهمت فرنسا بتقديم أسلحة للثوار. وفقا لمصادر حكومية فان المفاوض الفرنسي استيفان هيسيل قد اقترح لحسين هبري التقارب مع حكومة مالوم مؤكدا له أن لديه علاقات جيدة مع السلطات في أنجمينا وبالتالي يمكنه أن يلعب دورا كبيرا في التقارب بينهما. ورغم أن حسين هبري لم يرفض الفكرة إلا أن المجلس الأعلى العسكري لم تعجبه هذه المبادرة. أما بخصوص اتهام المجلس الأعلى العسكري لفرنسا تسليمها أسلحة لهبري, ففرنسا لا يمكنها أن تجازف في أمر خطير كهذا ولذلك فضلت أن تتفادى المشكلة وذلك بإبرام اتفاقية ذات شقين : يتعهد استيفان مفوضها لدى هبري بتقديم المواد الغذائية والأموال والمعدات الغير عسكرية بينما يتولى السيد كلوستر، زوج الرهينة الفرنسية، تسليم الأسلحة دون أن يكون له غطاء رسمي من السلطات الفرنسية. وقد حاول كلوستر القيام بالمهمة بمساعدة طيار يدعى رايموند تيري ولكن الخطة لم تنفذ وفق ما خطط لها ولذلك لم يتمكن كلوستر إلا من تسليم جزء فقط من الأسلحة(أحمد ، 2013، ص 154).

خاب أمل السلطات الفرنسية التي كانت تظن في بداية الأمر أن الانقلاب يوفر لها مزيدا من الحرية التي تسمح لها بمعالجة قضية كلوستر بالطريقة التي تحلوا لها (Djimolta, 2008,P237).

استأنفت المبادرة عقب التهديد الذي وجهه حسين هبري بقتل المدام كلوستر إن لم يتم تنفيذ الاتفاق المبرم مع استيفان هيسيل قبل الثالث والعشرين من سبتمبر, ضاربة عرض الحائط بقرار المجلس العسكري الذي يمنعها من التفاوض المباشر مع هبري. لا سيما أن الشارع الفرنسي بدأ يتحرك ضد الحكومة بعد أن قامت وسائل الإعلام الفرنسية بنشر معاناة الرهائن في تيبستي.

وتسهيلا للاتصال مع الثوار قامت فرنسا بإنزال جهاز استقبال وإرسال إلى حسين هبري عبر المظلات، كما كلفت طائرة بالتحليق بارتفاع عال فوق تيبستي لتكون همزة وصل بين هبري ومركز العمليات العسكرية في باريس.

عقب ذلك وصل السيد لويس موريل أحد أساتذة حسين هبري القدامى إلى تيبستي على متن طائرة ترانزال والتقى بحسين هبري حيث اتفقا على دفع مبلغ أربعة مليون فرنك فرنسي كجزء من الفدية التي فرضها مجلس قيادة القوات المسلحة الشمالية.

وفي الفترة من التاسع والعشرين إلى الأول من أكتوبر 1975، وصلت ثلاث عشرة طائرة فرنسية من نوع ترانزال إلى تيبستي محملة بمعدات عسكرية ومواد أخرى.

كانت الحكومة التشادية على علم بما تقوم به فرنسا تحت الكواليس. وقد أكد ذلك الجنرال مالوم شخصيا بقوله: « كان المجلس الأعلى العسكري قد وافق في بداية الأمر على مبدأ المفاوضات وذلك لدواعي إنسانية وذلك ظنا منه بأن الأمور سوف تجري بكل شفافية أي أن يتم اطلاعه بسير المفاوضات أولا بأول. ولكن للآسف لم يحدث ذلك. وقد تبين لنا أن هناك اتفاق آخر بجانب الاتفاق الذي أعلن عنه تم إبرامه مع حسين هبري وزوج المدام كلوستر وذلك بحضور المفاوض الفرنسي. أكد لنا ذلك اثنان من الثوار الذين انضما مؤخرا للحكومة والذين كانوا في تيبستي أثناء المفاوضات . وقد أكد المفاوض الفرنسي لحسين هبري بأنه سيغض النظر عن موضوع الأسلحة الذي سيسلمها له السيد كلوستر. إضافة إلى ذلك فان

الرجلين أكدا لنا بأن الطائرة التي أقلت ثلاثة من الصحفيين التابعين لوكالة قاما Gamma كانت قد سلمت للثوار 10 مدفعية هاون و129 بندقية وذخائر، الكل بزنة طنين (2)، أما الصفقة فستتواصل إلى أن تصل 10 أطنان»(أحمد، 2013 ص 44)

طلبت حكومة مالوم في شهر ديسمبر 1975، جلاء القوات الفرنسية الموجودة في تشاد وذلك احتجاجا على تسليم فرنسا مبلغ مالي كبير لهبري. كما تظاهر في نفس اليوم المآت من عمال النقابة التشادية في شوارع انجمينا، وحملوا لافتات كتبت عليها عبارات معادية للتعاون في ظل الذل والخضوع. وقد اكتسب ضباط الانقلاب من هذا الإجراء شعبية في داخل البلاد وخارجها. (راشد صابون محمد ص 59)

أمام فرنسا مهلة شهر واحد فقط لإجلاء قواتها البالغة 2393 جنديا، إضافة إلى المعدات الحربية التي تتألف من تسع طائرات حربية من نوع AD-4، وتسع طائرات نقل إضافة إلى عدد من طائرات هيلوكبتر ومعدات أخرى متنوعة. وقد تم ذلك في الفترة من السادس عشر إلى السابع والعشرين من أكتوبر 1975. كما سلمت المباني لتشاد (Djimolta,2008, P237).

أحرق الفرنسيون الأرشيف وغادروا هذا البلد الصديق حائرين في أمرهم. وفي السابع والعشرين من نوفمبر غادر السفير الفرنسي توس TOUZE تشاد نهائيا.

وبعيدا عن قضية المدام كلوستر فقد كان جلاء القوات الفرنسية من تشاد متوقعا. ذلك أن العديد من الرؤساء الأفارقة لا ينظرون بعين الرضا للتواجد الفرنسي في تشاد، وكانوا يلومون الرئيس التشادي على ذلك، كما أن سحب القوات الفرنسية من تشاد أصبح مطلبا شعبيا طالما كتبت عنه الصحف التشادية ولذلك كان الجنرال مالوم الذي وصل لوته إلى السلطة يتحين الفرصة لاتخاذ مثل هذا القرار لإثبات شخصيته في الداخل والخارج وها قد أتيحت له الفرصة(Djimolta,2008, P237).

وكان المجلس الأعلى العســـكري لا يريد أن يتوقف على هذه التدابير الثأرية، بل كان ينوي قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مما استدعى تدخل الرئيس الكونغولي "ماريان انقوابي" شـخصـيا لتفادي الأسـوأ، حيث نصـح زميله التشـادي بعدم الإقدام على مثل هذه الخطوة والتعامل بذكاء مع القوى الكبرى(Ngansop,1986, p73) .

أمام هذه الأزمة، أرسلت فرنسا وفدا إلى أنجمينا برئاسة الجنرال ديفال Duval الملحق بوزارة التعاون الفرنســية إلا أن مهمته قد باءت بالفشــل . وفي الســابع من أكتوبر 1975 أعلنت فرنسا عدم مشاركتها في أي مفاوضات مع الثوار وتفضل تدخل الصليب الأحمر الدولي أو الدول الإفريقية. معللة موقفها بـ «إصرار هبري على الحصول على أسلحة مقابل الإفراج عن عالمة الآثار الفرنسـية، بينما لا تسـتطيع فرنسـا تلبية مثل هذا الطلب لأن هذا الأمر ، وفقا للبيان الفرنسـي، يتعارض من جهة مع سـياسـة فرنسـا تجاه إفريقيا وتعهداتها الدولية , ومن جهة أخرى يعمل على تصعيد العنف الدولي الذي تستنكره فرنسا.»(Ngansop,1986, p 73)

تم التوصـــل إلى تفاهم بين البلدين عقب الزيارة التي قام بها جاك شـــيراك رئيس الوزراء الفرنسي آنذاك في مارس 1976 إلى تشاد. فقد تم التوقيع على عدة اتفاقيات تعاون بينهما. ذهب الفرنسيون إلى أبعد من ذلك حيث قدموا هدية للحكومة التشادية وهي عبارة عن طائرة نفاثة. وقد صرح السفير الفرنسي أن هذه الطائرة هي "عربون صداقة فرنسا". بالإضافة إلى ذلك قامت فرنســا بتزويد الحكومة التشــادية بمعدات من نوع آخر تتمثل في خمس طائرات هيلوكبتر SA330، وأربع طائرات من نوع AD-4، وطائرة واحدة من نوع DC-4، وخمس مصـفحات من نوع AML لتعزيز القوات المسـلحة التشـادية. وقد أكدت زيارة رئيس الوزراء الفرنســي إلى تشــاد رغبة الطرفين في إبقاء العلاقات الحميمة بينهما. علما أن الهدف من

الزيارة لم يكن تهدئة المجلس الأعلى العسـكري فقط، بل من اجل طمأنة دول إفريقيا الناطقة بالفرنسية والتي أثارت قضية مدام كلوستر قلقها(Djimolta,2008, P238).

يرى بيير كلوستر أن التقارب الفرنسي التشادي له علاقة بقرار كوكوني وداي في شهر فبراير اللقاء بمبعوثين ليبيين، واقتراح وساطة ليبية.

ورغم أن الاتفاقيات الجديدة لا تختلف بشكل كبير عن الاتفاقيات الموقعة قبل سبتمبر،1975 إلا أن رغبة الاستقلال عن فرنسا التي عبر عنها المجلس الأعلى العسكر

لم يتقبلها الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان خاصة وأنه من الممكن أن تنتقل إلى بلدان أخرى، ولذلك سعى بكل جهده إيجاد حل مع المجلس الأعلى العسكري(Haggar, 1982 , p441).

المحور الخامس: دور العقيد معمر القذافي في الإفراج عن مدام كلوستر

لقد طرأت بعض الظروف التي ساهمت بشكل كبير في إنهاء قضية المدام كلوستر من بينها التقارب الذي حصـــل بين كوكوني والعقيد الليبي معمر القذافي، عقب الانشـــقاق الذي وقع في صفوف الثوار.

ومن بين الأسباب التي أدت إلى وقوع الخلاف بين كوكوني وداي وحسين هبري ما يلي:

أولا: الصراع على السلطة – بعد أن تنازل كوكوني عن السلطة لهبري طواعية، تعرض الأول لضغوط من قبيلته التي اعتبرت هذا التنازل تفريطا في حقه.

ثانيا : الصراع بين الجيل القديم من المقاتلين والسياسيين الذين حافظوا على الطابع التقليدي للحركة، وبعض المقاتلين من الجيل الجديد الذين يرون ضرورة تحديث الحركة سياسيا وعسكريا.

ثالثا: التقارب بين كوكوني والعقيد معمر القذافي

وقد تميزت القوات المسلحة الشمالية عن الجبهات الأخرى برفضها الكامل لأي تحالف مع ليبيا ولو كان ذا صبغة سياسية أو تكتيكية. أما داخل كتلة فرولينا التي عرفت بأنها موالية لليبيا نجد أن بعض الجبهات مثل القوات المسلحة الشعبية التابعة لكوكوني لا تعلق سوى أهمية محدودة على النظام الثوري الليبي. (جلال عبد المعز ص 155)

لقد فطن حسين هبري ، ومنذ البداية، إلى أن اعتماد الثورة على ليبيا، لا يمكن أن يؤدي، حتى في أحسن الأحوال، إلا إلى فشل فرولينا خاصة وأنه أدرك قبل غيره خصوصية التوجه السياسي الليبي. (جلال عبد المعز ص 157)

وتطور الخلاف بين هبري وكوكوني، واستطاع الأخير أن يكسب إلى جانبه أغلبية الجيش الثاني، بينما غادر هبري المنطقة الشمالية مع مجموعة صغيرة من مؤيديه، متجها نحو شرق البلاد حيث أسس حركة تحت اسم القوات المسلحة الشمالية (FAN) التي اتخذن من أرمكولي مركزا لها ، بينما سعى كوكوني إلى تجميع بعض الفصائل المنشقة عن فرولينا وكونوا " اللجنة العسكرية المشتركة المؤقتة" وتم انتخاب كوكوني رئيسا لفرولينا في مؤتمر قورو في فبراير 1976، وبذلك استطاع كوكوني أن يشكل قوة متحالفة لجذب انتباه التشاديين باعتباره الزعيم الشرعي لثورة فرولينا بعد عزل د. أبا صديق، وكسب دعما ليبيا مكثفا بعد إعادة العلاقات مع القيادة الليبية، عقب انفصاله عن هبري الذي كان معروفا بعدائه الشديد لليبيا (جلال عبد المعز ص 153)

يقول حسين بشأن الخلاف الذي وقع بينه وبين كوكوني : « انضم كوكوني إلى سياسة القذافي، أما نحن فقد رفضنا السياسة الليبية. استطاع القذافي أن يجمع بعض العناصر ويشكل نوعا من "فرولينا" على الغرار الليبي، يحركها وفقا لطموحاته التوسعية. وهي عبارة عن تحالف

لمجموعات قائمة على أساس قبلي. وهذا التحالف يجمعه شيء واحد فقط وهي المساعدات المقدمة من ليبيا والتي تتمثل في الأسلحة، والمواد الغذائية، والدينار، ومعدات عسكرية متفرقة. (ATP , du 09 juin 1978, P 8)

إن جو التضامن والصداقة الذي كان سائدا بين حسين هبري وكوكوني وداي تحول شيئا فشيئا إلى قلق وريبة. هذا ما أكده كوكوني بقوله: « لقد أخبرني مؤمن حميدي وهو صديق حميم لحسين هبري ومكلف بالدعاية والتوعية والإعلام بمجلس قيادة القوات المسلحة الشمالية، أن حسين هبري وضع خطة لنقل معدات الحركة إلى بوركو والتخلي عن تيبستي ، مدعيا أن التوبو موالون لليبيا وأن هذا التقارب من شأنه الإضرار بالسير الحسن للحركة. وعليه طلب مني اتخاذ إجراءات فورية قبل فوات الأوان. (Weddeye, 2020, P285)

تكن لي السلطات الليبية وخاصة العقيد معمر القذافي ووزير خارجيته علي التريكي فائق الاحترام والتقدير، ولكنني أدركت أن الدعم الذي سيقدمونه لي مرهون بالإفراج عن الرهينتين الفرنسيتين (كلوستر وزوجته فرنسواز). وأخيرا وبعد تردد وافقت على الإفراج عنهما نزولا عند رغبة الليبيين. أخبرت الوزير علي التريكي بقراري وسرعان ما نظم لقاءا بيني وبين العقيد معمر القذافي. قلت للعقيد خلال اللقاء أنني مستعد للإفراج عن الرهينتين بوساطته إذا وافق على تسديد المبلغ الذي تطالب الحركة كلوستر بدفعه. وافق العقيد في الحال وطلب مني تحديد المبلغ.

كلف وزير الخارجية أحد الموظفين بمرافقتي إلى المصرف الليبي حيث تسلمت المبلغ وسلمته بدوري إلى أحد الرفاق ليقوم بنقله إلى الحركة في الميدان. وهكذا انتهت القضية ، بعد كل هذه المغامرة ، وتم الإفراج عن الرهائن في الحادي والثلاثين من يناير 1977 مقابل مبلغ زهيد قدره خمسة وسبعين ألف دينار وهو ما يساوي المبلغ المطالب به كلوستر. (Weddeye, 2020 , p 320)

وفقا للقاء الصحفي الذي أجراه حسين هبري مع الصحافة بعد تعيينه رئيسا للوزراء في حكومة الجنرال مالوم، فإن الإفراج عن المدام كلوستر وزوجها لم يتم وفقا لما كانوا يتوقعونه، فعندما اندلع النزاع بينه وبين كوكوني وداي وأدى إلى انشـــقاق الجيش الثاني عام 1976 قامت جماعة كوكوني بالتواطؤ مع أطراف ليبية باختطاف مدام كلوســتر مســتغلين الأزمة القائمة آنذاك بين الزعيمين الثوريين. أراد كوكوني الإبقاء على المدام كلوســـتر لمســـاومتها مع القذافي، إلا أن الأطراف الليبية تصدت لفكرته وأمهلته أربعا وعشرين ساعة لتسليهما لليبيا، وإلا فسيتولون الأمر نيابة عنه. فما كان أمام كوكوني إلا أن يسلمها على الفور للقذافي دون مقابل. (ATP, du 09 juin 1978, P12)

المحور السادس : الخاتمة، النتائج، المراجع

الخاتمة: جاءت قضية مدام كلوستر في ظرف شهدت فيه البلاد أحداثا سياسة خطيرة للغاية على الصـــعيدين الداخلي والخارجي. فمن الناحية الداخلية، كان الرئيس تمبلباي في صـــراع مرير مع الجيش التشـــادي الذي يتهمه بتدبير مؤامرة لقلب نظامه بالتآمر مع جهات خارجية وخاصة فرنسا. وعليه، كان اهتمام تمبلباي منصب في إخماد الفتنة ووضع حد للقلاقل التي دبت في صـــفوف الجيش، ولم يولي الاهتمام اللازم لقضـــية مدام كلوســـتر، باعتبار أنها لا تمثل تهديدا مباشرا لنظامه. لاسيما وأن تمبلباي لم يعترف بالثورة القائمة ضده وكان يصف زعماؤها بقطاع الطرق.

أما من الناحية الخارجية، فقد كانت العلاقة بين الرئيس تمبلباي والحكومة الفرنسـية قد بلغت حدا من التوتر، بســـبب الســـياســـة التي انتهجها تمبلباي والتي كانت تتعارض تماما مع المصـــالح الفرنســـية، ليس في تشـــاد فقط وإنما في دول وســـط إفريقيا برمتها، مما أدى إلى سقوطه.

استمرت قضية الرهائن طيلة ثلاث سنوات، من 1974 إلى 1977م، وقد ألقت بظلالها على العلاقات بين تشاد وفرنسا، وكانت من ناحية أخرى سببا في إشهار الثورة التشادية وخاصة أحد زعمائها حسين هبري الذي أصبح فيما بعد رئيسا لجمهورية تشاد.

انتهت هذه القضية بتدخل العقيد الليبي معمر القذافي، عقب الخلاف الذي وقع بين زعيمي الثوار حسين هبري وكوكوني وداي، وأدى إلى تقارب بين الأخير ومعمر القذافي. انتهز القذافي الفرصة التي أتيحت له وقام بدور فعال في اطلاق سراح المدام كلوستر وبذلك انتهت معاناتها التي دامت ثلاث سنوات.

ومن المفارقات السياسية أن حسين هبري العقل المدبر لاختطاف الرهائن الفرنسيين وفي مقدمتهم عالمة الآثار "مدام كلوستر" ، والذي أذاق قالوبين أصنافاً من التعذيب قبل أن يقوم شخصيا بإعدامه، رغم كل ذلك أصبح حليفا لفرنسا التي أوصلته إلى سدة الحكم، وظلت تمده بكل أنواع الدعم المادي والسياسي طيلة فترة حكمه لتشاد الذي استمر ثماني سنوات، راح ضحيتها أربعون ألف قتيل وفقا لتقرير اللجنة المكلفة بالبحث عن جرائم حسين هبري، ناهيك عن آلاف المواطنين الذين عانوا من التعذيب بشتى أنواعه في السجون.

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ما يهم فرنسا في تشاد هو مصالحها وإن كانت على حساب معاناة الشعب التشادي.

النتائج:

توصل الباحث في نهاية المطاف إلى أهم النتائج التالية:

1- تمكن الثوار بفضل الفدية التي قدمتها كلا من ألمانيا وفرنسا من تجهيز قواتهم بالمعدات العسكرية اللازمة مما مكنهم من مواجهة القوات الحكومية ، وتحقيق العديد من الانتصارات في الميدان.

2-سحب القوات الفرنسية من تشاد في عام 1976 الذي كان بطلب من الحكومة التشادية، يعد خطوة جريئة قام بها المجلس الأعلى العسكري.

3-كان الانفصال الذي حدث بين كوكوني وحسين هبري بسبب قضية المدام كلوستر قد قرب كوكوني من ليبيا.

4-سمح الإفراج عن مدام كلوستر من قبل كوكوني بطلب من الزعيم الليبي معمر القذافي لكوكوني الحصول على أسلحة ومعدات عسكرية مكنته من شن أكبر هجوم تقوم به الثورة على الإطلاق ضد قوات نظام الجنرال مالوم. وهي عملية أبشة التي أدت إلى سقوط مدينة فايا عاصمة إقليم بي إي تي BET على يد قوات كوكوني في 1978.

5-بروز البعد الإقليمي للأزمة وذلك بعد تدخل أطراف خارجية في اللعبة.

قائمة المراجع:

المراجع العربية

1-أحمد، محمد المهدي، الانقلاب العسكري في تشاد: الدوافع والنتائج ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، جامعة بحري ، الخرطوم ، 2013

2-الحنديري، سعيد عبد الرحمن أحمد، تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي، (1900- 1975) ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998

3-راشد ، صابون محمد، أثر العوامل الخارجية على الصراع السياسي الداخلي التشادي (1960- 1990)، بحث مقدم لنيل الدبلوم في العلوم السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،

1992

4-صالح ، عبد الله بخيت، شخصيات تشادية بارزة في القرن العشرين، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016

5-عبد المعز، جلال، النزاع الحدودي بين ليبيا وتشاد حول قطاع أوزو، القاهرة، 2003

6-يوسف، محمد آدم محمد، تاريخ الثورة التشادية الكبرى، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2010

المراجع الأجنبية

1-**ARNAUD, Dingamadji**, Nagarta Tombalbaye parcours et rôle dans la vie politique au Tchad (1960-1975), l'Harmathan, 2007

2-**Djimtola**, **NELLI,**Tchad le Conseil Militaire supérieur, Ndjamena, Almouna, 2008

3-**ESKA** in affaire des questions en suspens**,** Ndjamena – Hebdo, N° 19 du 25 avril 1991

4-**HAGGAR, Bichara Idriss**, la situation politique du Tchad de l'indépendance à la chute de Tombalbaye, Thèse pour le Doctorat en politique, Université de Poitier , 1982- 1983

5-**Lemoine, Thierry** Tchad 1960-1990 trente années d'indépendance, édition Lettres du mondes, 1997

ISSN: 2709-5312

6-**Mouric, N,** in l'affaire Claustre, une étape dans la politique française**,** Politique africaine, N° 16 Karthala , Paris, 1984

7-**NGANSOP, Guy Geremie**, Tchad vingt ans de crise, Paris, l'Harmathan, 1986

8-**YACOUB, Mahamat Saleh** et **Gali Gothé Gatta,** Tchad le Frolinat, chronique d'une déchirure **,** Almouna, Ndjamena, 2000

9-**WADDEYE Goukouni,** Combattant, une vie pour le Tchad, Tome1 , (1958- avril 1979), espaces et signes, Paris, 2020

الإنترنت :

1- Laurent Coureaux, l'affaire claustre et la rupture avec Hissein Habre,

2008,1974-1977www.rfi.fr consulté le 15/12/2021